

## تنمية التفكير لدى الآخر في السيرة النبوية الشريفة

عبد القادر تومي (\*)

**المخلص:** تحاول هذه الدراسة أن تقرأ الجوانب الواقعية في منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التفاعل مع الآخر. لقد حاولنا في هذا البحث تقصي مميزات الخطاب النبوي في جانب التنمية الفكرية، من خلال تحليل المضامين الكبرى في حوارات الرسول صلى الله عليه وسلم مع غيره، قصد الكشف عن التعامل مع المهارات لدى المخاطب، وإبراز القدرات والكفاءات التي يحملها الآخر. وكيف يمكن للخطاب النبوي انه يصنع سياقاً للآخر، من خلال فهمه للأشياء وتحديد السلوك المتبع، وكان الخطاب النبوي، خطاب توليدي يعزز الفهم، ويبرز قدرة التحليل المنطقي للأمور، ويضبط منهجية التفكير لدى الآخر، على اساس أن كنوز السنة النبوية تبقى تضخ الحياة المتجددة والرؤية العميقة مهما تعاقبت الأجيال واستمرت السنين. وتم استخدام الطريقة الاستقصائية في تتبع الخطاب النبوي من اجل الكشف عن الخصائص المنهجية التي تميز بها. وتوصل البحث الى ان منهجية الرسول صلى الله عليه وسلم كانت تلهم الإبداع، والابتكار، وتعزز لكثير من المهارات، وتنمي للتفكير وطرقه ومنهجيته، وتعزز الثقة في القيادة وبتث الثقة فيه، وتقوي مهارة حل الأزمات و التعامل الايجابي معها، وتصحح المفاهيم والأفكار الخاطئة، وتنمي الأبعاد العالمية في فكر الآخر.

**الكلمات المفتاحية:** تنمية التفكير، تنمية المهارات، تعزيز الثقة، بناء الذات، الخطاب.

### The development of thinking in other In the speech of the Prophet

*Abdelkader Toumi*

**Abstract:** The subject of this study, as is illustrated by the title "Development of thinking of the other in prophetic discourse" and trying to read the realities in the method of the Prophet in the interaction with the other. That prophetic discourse was not utopian condescending but was addressing more systematically require rational thinking, logical understanding and realism in conception, which is what makes the speech acceptable by others, and this was reflected in his address and his companions, as demonstrated In his speech with his soldiers in his conquests, and also found in his letters that he wrote to the Kings in different places.

**Keywords:** development thinking skills, confidence, self-build, prophetic discourse

## مقدمة

لقد كان الخطاب النبوي حاملا في طياته القيم الفكرية والمنهجية التي تتفق وتتسق والفطرة الإنسانية. في إطار من الحوار المقنع والجدال الحسن، فطرة الله التي فطر الناس عليها. وهو ما يثبت تميز الإسلام بالواقعية والمنطقية، لأنه الرسالة الخاتمة، حيث تمتد رسالة الإسلام في أفق الزمان إلى نهايته.

ويأتي خلود رسالة الإسلام و تميزه عن غيره من الديانات السابقة لاتفاق دعوته مع فطرة البشر اتفاقا كاملا، لأنها تتأسس على الجدال الحسن والكلمة الطيبة، و الحوار المقنع، و لهاذا كانت القيم الإسلامية عالمية في ذاتها؛ مستجابة للفطرة السوية، فقيم العدل والتعاون والمساواة، تواضع عليها الناس واصطلحوا جميعا، واستحسنها العقل البشري في مختلف الأزمان، تمتاز بالاعتدال والتوسط بين الحقوق والواجبات، وتلائم بين النزعة الفردية والمصلحة الاجتماعية.

ان الثقافة الإسلامية في عمقها هي ثقافة واقعية ومنطقية، ولا تلغي الثقافات الأخرى، إنها ثقافة إنسانية الطابع و الأبعاد، و تأخذ في اعتبارها إن ثمة تعدادا وتباينا في الثقافات، ونسبية في المفاهيم واختلافا بين الناس في كثير من الأشياء. ومن ثم فهي تسعى إلى مد جسور التواصل والتفاهم مع الثقافات الأخرى، ولا تسعى إلى إن تكون نقيضا لها أو إلغائها" اعترافا بواقع الخلاف الموجود على الأرض، والذي أقره القرآن الكريم من خلال قوله تعالى: "ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات. إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون"<sup>1</sup>.

ان استكشاف جوانب التميز في الخطاب النبوي، يتطلب تحليل المضامين العقلانية في حوارات الرسول صلى الله عليه وسلم مع غيره قصد الكشف عن تنمية المهارات لدى المخاطب، وإبراز القدرات والكفاءات التي يحملها الآخر في ضوء السنة النبوية.

من خصائص الخطاب النبوي انه يصنع سياقاً للآخر، يراجع هذا الأخير فهمه للأشياء ويولد رؤية يحددها الخطاب النبوي قولاً أو سلوكاً، وكأن الخطاب النبوي، خطاب توليدي يعزز الفهم، ويبرز قدرة التحليل المنطقي للأمور، ويضبط منهجية التفكير لدى الآخر، ويعيد مراجعة الحكم بعد تلقي الأمر المسموع. الأمر الذي يجعلنا نقول أن كنوز السنة النبوية تبقى تضح الحياة المتجددة والرؤية العميقة مهما تعاقبت الأجيال واستمرت السنين الطوال، ومهما اختلفت العينات التي تتلقى الخطاب.

ان المتابع لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم يجد انها ابرزت العديد من المهارات لدى الآخر ومنها:

## تنمية مهارة التفكير لدى الآخر.

قد يتعجب البعض عندما يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو المعصوم من الزلزل الذي ينزل الوحي عليه من السماء وهو يستشير صحابته الكرام في مواقف متعددة خاصة قضايا الدفاع والحروب، ففي واقعة الخندق لما وصلت الى النبي - صلى الله عليه وسلم - المعلومات، التي تفيد بتحريك جيوش التحالف صوب المدينة، فاستشار الصحابة، ما العمل؟ وهو النبي المصطفى.. فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر خندقٍ يحول بين العدو وبين المدينة، وهي حيلة

<sup>1</sup> - سورة المائدة، الآية 48

دفاعية يستخدمها الفرس، والحكمة ضالة المؤمن فأنى وجدها فهو أحق الناس بها. إن ما نستخلصه في هذا الموقف بالإضافة إلى أن الشورى ثمرة عظيمة من ثمرات الدعوة الإسلامية، وسلوك ماثل في أحداث السيرة النبوية<sup>2</sup>، إن الاستشارة تفتح باب الابتكار وتنمي طريقة الفهم لدى الأخر، هذه هي سمة البيئة الشورية في المجتمع الاسلامي بيئة جاذبة للعقول ومحررة لها وداعمة للتفكير، ودافعة للفهم والابتكار، وحاضنة لأصحاب المواهب والمهارات، وليست بيئة مستبدة طاردة للعقول ومحاصرة للأراء، وقاتلة للافهام، ومسيطر على كل شيء. فسلطان الفارسي بهذا الاقتراح اكتسب حب الغير له حيث طفق الناس يهتفون بسلطان، افتخارنا به، وسرورا بفكرته، فقال المهاجرون: سَلْمَانُ مِنَّا ؛ وَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: سَلْمَانٌ مِنَّا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَلْمَانٌ مِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ<sup>3</sup>.

### تعزيز مبدأ التعددية الفكرية

في اطار الاستشارة النبوية لصحابته، وفي حالة مشهورة من مواقف بدر قال عبد الله بن رواحة: " يا رسول الله اني أريد أن أشير عليك"<sup>4</sup> فأنصت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقول ابن رواحة وقال له قولاً حسناً ولما تحرك رسول الله إلى موقع ماء بدر، في موقع المعركة، نزل بالجيش عند أدنى بئر من آبار بدر من الجيش الإسلامي، وهنا قام الحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ وأشار على النبي بموقع آخر أفضل من هذا الموقع قائلاً: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ، أَمْزَلًا أَنْزَلَكَ اللَّهُ، لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَ وَلَا نَتَأَخَّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ ؟ قَالَ: " بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ" .. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، فَانْهَضْ بِالنَّاسِ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ، فَتَنْزِلُهُ ثُمَّ نَعَوِّرَ - أي ندفن- مَا وَرَاءَهُ مِنَ الْقَلْبِ، ثُمَّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلُؤُهُ مَاءً، ثُمَّ نَقَاتِلُ الْقَوْمَ، فَتَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مشجعاً -: " لَقَدْ أَشْرَبْتَ بِالرَّأْيِ ". وبادر النبي - صلى الله عليه وسلم - بتنفيذ ما أشار به الحباب، ولم يستبد برأيه برغم أنه القائد الأعلى<sup>5</sup>. إن هذه المواقف لتبين كيف تكون العلاقة بين القائد وجنوده، إنها علاقة تحترم الآراء الناضجة وتشجع الأفكار الصاعدة، وتتبنى الابتكارات، وتحفز الاختراعات. في وادي دِفْرَانَ، وكان في هذا الوادي المجلس الاستشاري الشهير لمعركة بدر- بلغ النبي - صلى الله عليه وسلم- نجاة القافلة، وتأكد من حتمية المواجهة، فإما القتال وإما الفرار.. فاستشار، فجمع الناس ووضعهم أمام الوضع الراهن، وقال لجنوده: "أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ ! .." ورددتها مراراً، وما زال يكررها عليهم، فيقوم الواحد تلو الآخر ويدلو بدلوه، فقام أبو بكر فقال وأحسن. ثم قام عمر فقال وأحسن. ثم قام الْمُقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو فقال وأحسن.. حتى قام القيادي الأنصاري البارز سعد بن معاذ، فحسم نتيجة الشورى لصالح الحل العسكري، قائلاً: " لَقَدْ أَمَّنَّا بِكَ وَصَدَقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاتِيئَنَا، عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ. فَأَمُضْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَكَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ اسْتَعْرَضْتُ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخَضْتَهُ لَخَضْنَاكَ مَعَكَ" ..<sup>6</sup>

وفي غزوة الطائف عسكر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالمسلمين في مُعَسْكَرٍ قَرِيبٍ مِنْ حَصْنِ الْعَدُوِّ، فَأَصِيبُ الْمُسْلِمُونَ بِجِرَاحَةٍ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَأَشَارَ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ بِتَغْيِيرِ الْمَعَسْكَرِ، فَكَفَّهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِذَلِكَ، فَاخْتَارَ الْحُبَابُ مَكَانًا بَعِيدًا لَا تَصِلُ إِلَيْهِ سِهَامٌ

<sup>2</sup> - يؤسفنا أن فريضة الشورى تبقى غائبة عن كثير من المسلمين، حكماً ومحكومين، ويجليه الاستبداد الضيق الذي يمارس عندنا في كثير من الدول وهو ما يولد جوراً وظلماً.

<sup>3</sup> - انظر [ابن هشام 2 / 224]

<sup>4</sup> - انظر [ الطبراني في الكبير 4 / 210 ]

<sup>5</sup> - انظر [ابن هشام - 1 / 620]. وانظر: "دلائل النبوة"، [للبيهقي 3: 35] و"السيرة النبوية وأخبار الخلفاء"، [لابن

حبان 1: 166].

<sup>6</sup> - انظر [ السهيلي 3 / 57 ]

العدو، وأصبح الجيش في منطقة آمنة؛ بفضل تطبيق النبي - صلى الله عليه وسلم - لمشورة الحُباب بن المنذر - رضي الله عنه<sup>7</sup> وصدق حافظ إبراهيم - رحمه الله - حين قال:

**رأي الجماعة لا تشقى البلاد به \*\*\* رغم الخلاف و رأي الفرد يشقيها**

### تنمية التفكير المنطقي

لقد كانت دعوته صلى الله عليه وسلم كلها رحمة وشفقة وإحساناً وحرصاً على جمع القلوب وهداية الناس جميعاً مع الترفق بمن يخطئ أو يخالف الحق والإحسان إليه وتعليمه بأحسن أسلوب وأطف عبارة وأحسن إشارة، تقتضي استخدام منطق التفكير متمثلاً قول الله عز وجل: (( ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... ))<sup>8</sup> ومن ذلك لما جاءه الفتى يستأذنه في الزنى. فعن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: إن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه فقال له: (ادنه)، فدنا منه قريباً، قال: (أتحبه لأمك؟) قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم) قال: (أفتحبه لابنتك؟) قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس جميعاً يحبونه لبناتهم) قال: (أفتحبه لأختك؟) قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس جميعاً يحبونه لأخواتهم). قال: (أفتحبه لعمتك؟) قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس جميعاً يحبونه لعماتهم). قال: (أفتحبه لخالتك؟) قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس جميعاً يحبونه لخالاتهم) قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه) فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء. رواه أحمد.

### تنمية مهارة حل الازمات

لقد تميز الخطاب النبوي بمميزات متعددة وحكم كثيرة تخص إدارة الأزمات فقد تجاوزت السنة النبوية في وعيها للكثير من الازمات وخاصة للأزمة الإنسانية الراهنة، العلوم الحديثة بقرون من الوعي، لتدخل العصر العالمي، مشروط بعلمها (أنه الحق) ولهذا قال المولى تبارك وتعالى: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق).<sup>9</sup> ومن هذه الآيات إن التنافس على حب الدنيا يؤدي إلى زوال كيان الأمة وهلاكها.

وفي الحديث "يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا أو من قلة يومئذ نحن يا رسول الله قال لا بل إنكم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزع عن الله المهابة من صدور أعدائكم وليقذفن في قلوبكم الوهن قالوا وما الوهن يا رسول الله قال حب الدنيا وكرهية الموت " أخرج أبو داود في سننه<sup>10</sup>. فالحديث يبين موقع المرض الذي خلف حضارتنا، وقدم لنا منهجاً قاعدياً لتركيب حضاري جديد، يؤهل الإنسانية للدخول إلى العصر العالمي، فهذا الحديث يتوجه نحو تأسيس منهجية لدراسة أزمة الأمة الحضارية على حد تعبير المرحوم مالك بن نبي. فالحديث يرى بأن المجتمع الإسلامي غثاء، لأنه فقد الشعور برسالاته الاجتماعية، فمعظم مواقف المجتمع الإسلامي أصبحت تدور حول محور (حب الدنيا وكرهية الموت) وذلك هو جوهر (الأزمة الحضارية) التي تمر بها البشرية، بما فيها مجتمعنا الإسلامي، الذي أصيب بالوهن.

<sup>7</sup> - مغازي الواقدي " (3: 926).

<sup>8</sup> - [سورة النحل: 12].

<sup>9</sup> - سورة فصلت: الآية 53.

<sup>10</sup> - 2/10

فحل الأزمة ينطلق إذن من عالم النفوس، ويمتد في عالم المجتمع، ثم ينتشر في عالم الثقافة، وبعدها يدخل إلى عالم التاريخ، ليتحول فيما بعد إلى منهج للسير في الأرض من أجل الاهتداء إلى السنن الإلهية.

### مهارة الالتزام بالفكرة والمبدأ واتباع المنهج لا الأشخاص.

لقد نبهت السنة النبوية لأمر مهمة في الحياة، من ذلك قضية التعلق بالأشخاص التي عرفت عند المسلمين فكان الخطاب النبوي منبها لضرورة الالتزام بالفكرة والإعراض عن الأشخاص، فعن العرابض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعدةً وجِلَّتْ منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله! كأنها موعدة مودع، فأوصنا! قال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبداً، وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضواً عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة». الشاهد قوله: «كأنها موعدة مودع»، «فعلبيكم بسنتي» فأوصاهم بالتعلق بسنته بعده، وقول الصحابة: «فأوصنا» فيه أنهم لما فهموا أنه مودع استوصوه وصية ينفعهم التمسك بها بعده.

وإن مشكلة التعلق بالأشخاص غير مبررة، ولذلك جاء القرآن ليقدر هذه الحقيقة الأولية حقيقة التعلق بالمنهج ونبذ التعلق بالأشخاص ولو كانوا رسلاً. ففي سورة آل عمران يقول سبحانه: "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ"

وكذلك جمعه الناس بماء بين مكة و المدينة يسمّى حُمًا، وخاطبهم فقال: «يا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب»، ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى بأهل بيته. الشاهد تعريضه بأنه مغادر الحياة، وحضه بالتمسك بكتاب الله وبمنهج الله.

و في غزوة أُحُدٍ لَمَّا انْهَزَمَ النَّاسُ لَمْ يَنْهَزِمِ أَنْسَ بْنَ النَّضْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ انْتَهَى إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ وَ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ فِي رِجَالٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ قَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ: مَا يَجْلِسُكُمْ؟ فَقَالُوا: قَتَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ: مَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ؟ فَقَوْمُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْمُشْرِكِينَ وَلَقِيَ سَعْدَ بْنَ مَعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: يَا سَعْدُ، وَاهَا لِرِيحِ الْجَنَّةِ إِنِّي أَجِدُهَا مِنْ دُونِ أَحَدٍ، فَقَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ، وَوُجِدَ بِهِ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ ضَرْبَةً، وَلَمْ تَعْرِفْهُ إِلَّا أُخْتُهُ بِنَانَةَ.

### تعزيز الثقة في القيادة عند الآخر وبث الثقة فيه.

عندما نتأمل المقولة التاريخية لسعد بن معاذ، والتي قال فيها: "فَامُضْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَكَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخَضْتَهُ لَخَضْنَا مَعَكَ، مَا تَخَلَفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ وَمَا نَكَّرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوْنَا عَدَا، إِنَّا لَصَبْرٌ فِي الْحَرْبِ صُدُقٌ فِي اللَّقَاءِ. لَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ"<sup>11</sup> فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك... فسر بنا على بركة الله.. إنها ثقة الجندي في قائده، وثقة الأخ في نفيه، والثقة الحقّة، هي "اطمئنان الجندي إلى القائد في كفاءته وإخلاصه.. اطمئناناً عميقاً؛ يُنتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة"<sup>12</sup> سُرَّ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِقَوْلِ سَعْدٍ وَنَشْطِهِ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ: "سِيرُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ

<sup>11</sup> - انظر [ السهيلي 3 / 57 ]..

<sup>12</sup> - انظر [ مجموعة الرسائل 283 ]..

تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ! وَاللَّهِ لَكَأَنِّي الْآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ "13 وفي اليوم السابق ليوم بدر مشى - صلى الله عليه وسلم - في أرض المعركة وجعل يُري جنوده مصارع رؤوس المشركين واحداً واحداً. وَجَعَلَ يُشِيرُ بِيَدِهِ: هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ - ووضع يده بالأرض -، وَهَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ، وَهَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ -، فَمَا تَعَدَى أَحَدٌ مِنْهُمْ مَوْضِعَ إِشَارَتِهِ"14. فقال عمر: " فوالذي بعثه بالحق ! ما أخطؤوا الحدود التي حد رسول الله " [مسلم (2873)]. وأخبر بقتل المسلمين لأمية بن خلف، ولذلك قال سعد بن معاذ لأمية عندما ذهب إلى مكة قبيل بدر: يا أمية، فوالله لقد سمعت رسول الله يقول: "إنهم قاتلوك" ففزع لذلك أمية فزعا شديداً15.

ما أعظم القائد الصامد المبشر ! وما أكرمه هو يبيت روح الثقة في جنده، وينشر روح التفائل في جيشه، ويصب جوامع الكلم الطيب في القلوب، كالمطر الهائل على السيول، فيذكرهم بشارة الله لعباده، وجنة الله لأوليائه، والمجاهدون أعظم الأولياء، رفقاء الرسل والأنبياء ! فإذا بالجنود - على أثر تثبيت قائدهم - ؛ قد ثبت الله أقدامهم، وربط الله على قلوبهم، وسدد الله رميتهم، وأثقل بأسهم، وجعل الدائرة لهم.

### مهارة التعامل الإيجابي في حالة الازمات

كان من رحمته أن يعيش مع الازمات وأصحابها.. يأخذ بيد هذا.. ويعالج هذا.. ويصبر على هذه.. ينزع فتيل الأزمة حتى لا تنفجر في الجميع.. فكان على يده نجاة المجتمع بأكلمه من حرب واقفة على الأبواب ففي أزمة الحجر الأسود يقول العلامة د. علي جمعة: " كان عليه السلام بفطنته ينهي منازع الخلاف بشكل قاطع، مع حماية المجتمع الإسلامي من آثار الأزمة، بل يعمل على الاستفادة من الموقف الناتج عن الأزمة في الإصلاح والتطوير، واتخاذ إجراءات الوقاية لمنع تكرار الأزمة أو حدوث أزمات مشابهة لها. وإنك لتري آثار هذه الحكمة في تلك المعالجات في السيرة النبوية الشريفة قبل البعثة وبعدها " وهنا يقول ابن هشام في سيرته: " أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان عائذ أسن قريش كلها ؛ قال: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه، ففعلوا. فكان أول داخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمد ؛ فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال صلى الله عليه وسلم: هلم إلي ثوبا، فأتي به، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده. ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعا، ففعلوا: حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده، ثم بنى عليه". ويعلق فضيلة العلامة د علي جمعة على ذلك:- " وبهذا التفكير السليم والرأي الصائب حسم صلى الله عليه وسلم الخلاف بين قبائل مكة، وأرضاهم جميعا، وجنب بلده وقومه حربا ضروسا شحذت كل قبيلة فيها أسننها "

### تقييم السائل وطالب الحاجة بكل تواضع

كان صلى الله عليه وسلم متواضعا، متخلقا ومتمثلا بقوله تعالى: (( تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ))16. وكان صلى الله عليه وسلم متواضعا يجيب دعوة الحر والعبد والغني والفقير ويعود المرضى في أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر، يتواضع للمؤمنين، يقف مع العجوز ويزور المريض ويعطف على المسكين، ويصل البائس ويواسي المستضعفين ويداعب الأطفال ويمازح الأهل ويكلم الأمة. وكان صلى الله عليه وسلم أبعد الناس عن الكبر، كيف لا وهو الذي يقول صلى الله عليه وسلم: (لا تطروني كما أطرت

13 - انظر [ السهيلي 3 / 57 ]

14 - انظر [ ابن القيم: زاد المعاد 3 / 15 ]

15 - انظر [ البيهقي: دلائل النبوة: 21 ].

16 - [سورة القصص الآية 83 ].

النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله) رواه البخاري. ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه كان يجيب الدعوة ولو إلى خبز الشعير ويقبل الهدية<sup>17</sup>.

### تنمية الأبعاد العالمية في فكر الآخر.

ان ما يثبت أن خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن إقليمياً بل كان عالمياً يتجاوز به حدود المكان من خلال رسائله المختلفة إلى الملوك.

ومن أدلة عالمية الإسلام من السنة النبوية أيضاً حديث " أعطيت خمساً " فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "أُعْطِيتُ خَمْسًا، لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا- فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ-، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ - وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي -، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُعْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً " [ البخاري: 323 ] ولقد كان مبدأ ( عالمية الإسلام ) واضحاً جلياً في أذهان المسلمين الأوائل، أيام مكة، وكانت نصوص العالمية بيّنة في القرآن المكي، وكان منها قول الحق تبارك وتعالى في سورة الأعراف - المكية -: " قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا " [158].

ومن ثم شرع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غرس هذا المبدأ في نفوس أتباع الدعوة في كثير من المشاهد. ومن هذه المشاهد التي دلت على أصالة هذه القيمة - حديث خباب بن الأثر عن يوم من أيام الإضهاد في مكة، حيث قال: " شَكُونًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بَرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فُلْنَا لَهُ: الْإِسْتَنْصِرُ لَنَا! الْإِسْتَنْصِرُ لَنَا! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُبْرِضُ عَلَى رَأْسِهِ؛ فَيَنْشَقُّ بِأَنْثَنَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ! لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكْبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذَّنْبَ عَلَى عَمَلِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ " [ البخاري: 3343 ]

فلا تمام لهذا الدين، إلا بالعالمية، حين يمتد الإسلام شرقاً وغرباً، فيأمن الغريب والمسافر من صنعاء إلى حضرموت.. لا يخاف لصاً ولا قاطعاً، حيث بسط الإسلام الأمن في ربوع العالم. وتأمل قول رسول الله: " مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ " .. إن رسول الله في مكة حينما حدث بهذا الخبر، وكان من الأولى - في زعم البعض - أن يقول - على سبيل المثل - "من مكة إلى الطائف! والحق أن رسول الله يتحدث بهذا الحديث وهو لا يفرق بين أرض وأرض، فكل الأرض بساط للإسلام، وأن الإسلام سينشر سلمه وأمنه بين صنعاء وحضرموت، وسينشر سلمة وأمنه بين مكة والطائف، وسينشر سلمه وأمنه بين القاهرة والقدس، وسينشر سلمه وأمنه بين المدينة المنورة وواشنطن"<sup>18</sup>.

يمثل الفكر الإسلامي قمة التسامح فقد أمر الله رسوله والمسلمين بالتسامح مع أهل الكتاب وأمرهم أيضاً بالعتف والصفح عن إساءاتهم، كما قال تعالى: { فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ

<sup>17</sup> - وتوضيحاً لهذه السياسة النبوية: فإن المجتمع الإنساني آنذاك وهو يشاهد هذا الدين الجديد وهذه الدولة الوليدة على أساسه وتشريعاته فإنهم يرمقون اتجاهات قائدها ويراقبون قراراتها، إلى الحد الذي سبروا معه تاريخ هذا القائد منذ مولده وطبيعة تعاملاته وأخلاقه، بل وتاريخ أجداده، كما جاء في الحوار الشهير بين اثنين من أكبر قادة وساسة ذلك العصر وهما القائد القرشي أبو سفيان والملك الرومي هرقل.

(18) محمد مسعد ياقوت "عالمية الإسلام.. دروس وعبر" www.islammassage.com/articles

بِأَمْرِهِ<sup>(19)</sup>. والعفو: التسامح في عقوبة الذنب، والصفح: الإعراض عن اللوم وتركه، وهما درجتان رفيعتان من التسامح ويحث الله عليهما في القرآن مرارا وتكرارا، وكان الرسول مثلا رفيعا للتسامح. وكان يقابل الاذى برفع يده إلى ربه قائلا: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»<sup>(20)</sup>. اعتقاد المسلم بكرامة الإنسان من حيث هو إنسان؛ وفي ذلك يقول الله تعالى: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ»<sup>(21)</sup>، وفي هذا روى البخاري عن جابر أن النبي مرَّ على جنازة، فقام لها واقفا، فقالوا: يا رسول الله، إنها جنازة يهودي! فقال: «أليست نفسا»<sup>(22)</sup>.

وفي غزوة أُحد جرح في وجهه وكسرت ربايعيته (السن بين الثنية والناص) اليمنى السفلى بحجر وهشمت الخوذة على رأسه الشريف، ولم يؤخذ أحدا، بل سامحهم وعفا عنهم، ورد إليهم حرياتهم، وقال: «من دخل الكعبة فهو آمن، ومن دخل داره وأغلق بابيه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن»<sup>(23)</sup>. وهكذا لم يبق في مكة قرشي - عادي رسول الله وحاربه - إلا سامحه بمجرد إعلانه لإسلامه وعفا عنه، وقال لأهلها جميعا «اذهبوا فأنتم الطلقاء»<sup>(24)</sup>.

فالمجتمع الإسلامي إذن مجتمع عالمي، بمعنى أنه مجتمع غير عنصري ولا قومي، ولا هو قائم على الحدود الجغرافية، فهو مجتمع مفتوح لجميع بني الإنسان، دون النظر إلى جنس أو لون أو لغة، بل دون النظر إلى دين أو عقيدة. وضرب الله للمسلمين أعظم مثل للتسامح في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} <sup>(25)</sup>. والله يسوي في الآية بين المؤمنين واليهود والنصارى من أهل الكتب السماوية. فأى تسامح أعظم من هذا التسامح مع هؤلاء إذا آمنوا بربهم وبالبعث وعملوا عملا صالحا لهم ولمجتمعهم، والله بذلك يلغي التعصب للديانات، ويريد من المسلمين التسامح مع من يخالفهم في الدين حتى لو كان من المشركين.

وأكثر من ذلك أن الله - سبحانه وتعالى- يطلب من المسلمين أن يتسامحوا مع من كان يؤذيه من كفار مكة الجبابرة العتاة قائلا في سورة الجاثية: {قُلْ يَا مُحَمَّدُ {لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} <sup>(26)</sup>، وهذه الآية نزلت في نفر من أصحاب الرسول الكريم أصابهم أذى شديد من كفار مكة الذين لا يرجون جزاء الله، فشكوا ذلك إلى رسول الله الكريم، فأمرهم الله أن يتجاوزوا عن ذلك ويغفروا لهم أذاهم، معتصمين بالصبر، كما قال الله في سورة آل عمران: {وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ}، أي: من اليهود والنصارى {وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَدَى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} <sup>(27)</sup>، إذ الصبر حقا مفتاح الفرج، ويمتدح الله المؤمنين ممن يقدمون الطعام - مع حبهم لله - إلى المساكين واليتامى وأيضا

(19) - البقرة: 109.

(20) البخاري 182/3، ح (3290)، كتاب التفسير، باب: {أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم}.

(21) - سورة الإسراء: 70.

(22) - أخرجه البخاري 107/2، كتاب الجنائز: 50 - باب من قام لجنازة يهودي، ح (1311، 1312)، ومسلم

661/2، كتاب الجنائز: 24، باب القيام للجنازة 81، ح (961).

(23) مسلم 1406/3، ح (1980)، كتاب الجهاد، باب فتح مكة. ط دار إحياء الكتب العربية، ط 1 / 1374-1955م،

القاهرة.

(24) - السنن الكبرى للبيهقي، 118/9، ح (18055)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن -

الهند، 1356 هـ، الطبعة الأولى.

(25) - سورة البقرة: 62.

(26) - سورة الجاثية: 14.

(27) - سورة آل عمران: 186.

للأسرى في سورة الإنسان قائلاً: {وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} (28)، وكان أسراهم حينئذ من المشركين، وكان كثير منهم يؤدي المسلمون قبل هجرتهم إلى المدينة، ومع ذلك أمر الرسول الكريم المسلمين أن يكرمهم، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الطعام، وهو تسامح عظيم ومعاملة كريمة قل نظيرهما وندر وقوعهما، ويقول سبحانه للمسلمين: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (29)، والله لا ينهى عن حسن المعاملة للمشركين الذين لم يشتركوا في قتال المسلمين ولا دفعوهم إلى الخروج من مكة. وقد صار هذا البر لغير المسلمين سواء أكانوا من أهل الكتاب أو كانوا من المجوس وأمثالهم في آسيا وأفريقيا، والله - عز وجل - بذلك قد وضع للمسلمين قواعد مثلى في تسامحهم مع كل الديانات، ومع كل الأقوام ومع كل الأجناس والأعراق والألوان.

وهكذا رسخ الرسول - صلى الله عليه وسلم - قيمة عالمية هذا الدين في نفوس أبناء الأمة.

**الخاتمة:** من نتائج هذا البحث إن السنة النبوية كانت:

1. ملهمة للإبداع.
2. مولدة لكثير من المهارات.
3. منمية للتفكير وطرقه ومنهجيته.
4. باعثة لروح الإبداع، والابتكار.
5. معززة الثقة في القيادة عند الآخر وبث الثقة فيه.
6. منمية مهارة حل الازمات و التعامل الايجابي معها.
7. مصححة للمفاهيم والتصورات الخاطئة.
8. منمية الأبعاد العالمية في فكر الآخر.

نسأل الله بمنه وكرمه أن يُلهمنا رُشدنا، ويُعلمنا ما يَنفَعنا، وَيَنفَعنا بما عَلَّمنا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

### المصادر والمراجع

- (أبو بكر البيهقي) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، المحقق: د. عبد المعطي قلعجي الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث الطبعة: الأولى - 1408 هـ - 1988 م
- (أبو بكر البيهقي) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، السنن الكبرى الناشر: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، 1414 - 1994. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، عدد الأجزاء: 10
- (البخاري)، صحيح الإمام البخاري، كتاب التفسير، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى 1422 هـ.
- (الطبراني) سليمان بن أحمد أبو القاسم- معجم الطبراني الكبير- الناشر: مكتبة العلوم والحكم - الموصل تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، 1404 - 1983، عدد الأجزاء: 20
- (الغزالي)، فقه السيرة المحقق: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: دار الكتب الحديثة؛ سنة النشر: 1965
- (الواقدي) محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله- المغازي، تحقيق: مارسدن جونس الناشر: دار الأعلمي- بيروت الطبعة: الثالثة- 1409/1989. عدد الأجزاء: 3
- (ابن القيم الجوزية) زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الرابعة عشر، 1407 - 1986، عدد الأجزاء: 5

(28) - سورة الإنسان: 8.

(29) - سورة الممتحنة: 8.

(مسلم بن الحجاج)، صحيح الإمام مسلم. ط دار إحياء الكتب العربية، ط 1/ 1374-1955م، القاهرة. (ابن هشام) أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميري البصري، - مختصر السيرة النبوية، دار الصحابة للتراث بطنطا.

### الهوامش

- الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى 1422 هـ.
- (الطبراني) سليمان بن أحمد أبو القاسم- معجم الطبراني الكبير- الناشر: مكتبة العلوم والحكم - الموصل تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، 1404 - 1983، عدد الأجزاء: 20
- (الغزالي)، فقه السيرة المحقق: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: دار الكتب الحديثة؛ سنة النشر: 1965
- (الواقدي) محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله- المغازي، تحقيق: مارسدن جونس الناشر: دار الأعلمي- بيروت الطبعة: الثالثة- 1989/1409. عدد الأجزاء: 3
- (ابن القيم الجوزية) زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الرابعة عشر، 1407 - 1986، عدد الأجزاء: 5
- (مسلم بن الحجاج)، صحيح الإمام مسلم. ط دار إحياء الكتب العربية، ط 1/ 1374-1955م، القاهرة. (ابن هشام) أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميري البصري، - مختصر السيرة النبوية، دار الصحابة للتراث بطنطا.

\*\*\*\*\*